# من الاغتراب الثقافي للذات اللاجئة إلى الانتشار الثقافي
# (اللاجئون السوريون أنموذجاً)

د.نعيمة رحماني*

**الملخص**

إن ظاهرة الاغتراب ليست وليدة الحاضر بل هي قديمة قدم الإنسانية، ولكنها عرفت تزايداً في العصر الحالي جعلها تخرج من سمتها الفردية الى سمة جماعية يعاني منها مجتمع بأكمله، مثال ذلك بعض اللاجئين السوريين الذين يعيشون حالة من الاغتراب في مختلف الميادين، في ظل التوترات التي تعرفها المنطقة. ولكننا إذ نحاول دراسة هذه الظاهرة نسعى الى الاستفادة من اللجوء وتجليات الاغتراب فيه لجعله منبعا لنشر الثقافة السورية في البلدان التي لجأ اليها الفرد السوري، ليصبح هو الفاعل بدل المتلقي لثقافة الغير.

**مقدمة**

الاغتراب ظاهرة إنسانية معروفة من القدم عاشتها مجتمعات كثيرة، واتخذت اشكالا مختلفة بدا باغتراب سيدنا آدم عن موطنه الأصلي الجنة، ثم الاغتراب الطبقي الذي يبرز جليا في انتفاضات العبيد، فوصولا الى مظاهر أخرى أكثر تعقيدا في عصرنا الحالي استدعت اهتمام المفكرين والباحثين. حيث يشعر الفرد بانه يعيش في عالم لا يستجيب لرغباته واحتياجاته، فيصبح انتماؤه في إطار محدود جدا.

سنحاول في هذا البحث التعرض لاغتراب وحدة بشرية عن ثقافتها وبيئتها التي ترعرعت فيها لتجد نفسها لاجئة في مجتمعات متنوعة ذات ثقافات وعادات وتقاليد مختلفة عنها، قد تنجح في التكيف مع تلك البيئات او قد تصاب بالاغتراب جراء اختلال تبني الثقافات الأخرى.

وسنركز أكثر على الاغتراب الناتج عن لجوء الذات السورية الى وطن آخر بسبب الحرب.

---

*– **الدكتورة نعيمة رحماني**: أستاذة بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان – الجزائر، متحصلة على شهادة الدكتوراه تخصص أنثروبولوجيا، مهتمة بقضايا الأسرة والتراث المادي واللامادي، والتاريخ العثماني.

## 1- مفهوم الاغتراب، مظاهره، انواعه ودوافعه:

لم يرد في المعاجم كلمة اغتراب كما هي الان بل وردت كلمة غربة التي تدل على البعد عن الوطن، حيث جاء في لسان العرب الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس...والغربة: البعد...والتغريب: النفي عن البلد....[1]

وجاء في تاج العروس، الغرب: النزوح عن الوطن كالغربة... والاغراب والتغرب: البعد...[2]

لمصطلح الاغتراب استخدامات متنوعة بسبب تنوع الاتجاهات الفكرية من سوسيولوجية الى سيكولوجية الى سياسية واقتصادية وثقافية تناولت الظاهرة بمفاهيم عديدة.

الغربة إحساس داخلي بان الفرد معزول عن مجتمعه، خاصة ما تعلق منه بالعادات والتقاليد وطراز الحياة الذي الفه في مجتمعه، واللغة وغيرها...[3]

وتتجلى **مظاهر** الاغتراب في [4]

*انعدام القوة وشعور الفرد بانه غير قادر على التأثير في المواقف الاجتماعية التي تحيط به

* فقدان المعنى من خلال عجز الفرد عن اتخاد القرار بخصوص ما يقوم به

* العزلة وانفصال الفرد عن مجتمعه وعدم قدرته على مسايرة الأوضاع

* فقدان المعايير من خلال لجوء الفرد الى استخدام اساليب غير شرعية من اجل تحقيق أهدافه

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج5، 1997، ص17
[2] مرتضى الزبيدي، تاج العروس دار الفكر، بيروت، مج2، 1994، ص179،
[3] يوسف عز الدين، قديم لا يموت جديد لا يعيش، دار الابداع، الحديث للنشر والتوزيع، ص249.
[4] مجدي احمد محمد عبد الله، الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بسمات الشخصية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، 2001، ص8

* غربة الذات وإدراك الفرد بانه مغترب حتى عن ذاته.

هناك **أنواع** مختلفة واتجاهات كثيرة للاغتراب ولكنها تنطوي كلها داخل نوعين أساسيين هما، الاغتراب داخل الوطن: وهو شعور الفرد بالانفصال عن مجتمعه من خلال انفصاله عن قيمهم واعرافهم وعاداتهم وعن السلطة الحاكمة. والاغتراب خارج الوطن، وهو الموضوع الذي يهمنا في بحثنا هذا.

وللاغتراب **دوافع** كثيرة من بينها الهجرة طلباً للرزق، او بسبب فقدان الأهل الذي يجعل الفرد يحس بغربة شديدة حتى داخل وطنه، كذلك الزهد في الدنيا واعتزال البشر من أجل غربة روحية مختارة وليست مفروضة. إضافة إلى النفي من البلاد، أو الأسر في الحروب، وأيضاً اللجوء والهجرة بسبب الحروب.

## 2- مفهوم النظرية الانتشارية:

هي النظرية التي تعتمد الأصل الثقافي الحضاري المتعدد المراكز، ومن دعاة هذه النظرية فريتز جراينوز، ووليم شميت. [5]

فالانتشار عملية تقوم من خلالها السمات الثقافية بالانتشار من منطقة الى أخرى حتى تعم العالم بأكمله.

وقد يكون الانتشار عبر الأجيال داخل المجتمع أو قد يتعدى ذلك ليصل إلى درجة الانتشار من مجتمع إلى آخر عبر عامل المكان.

## 3- اغتراب الذات السورية اللاجئة:

للاغتراب علاقة وطيدة بوجودية الفرد الواقعية والملموسة، لان اختياراته الحرة تحدد مصيره. فالاغتراب في الحقيقة مشكلة وجودية للذات اللاجئة التي نقصدها في هذا البحث، أي اغتراب الذات خارج مجتمعها.

[5] عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004، ص52

ويتجلى اغتراب الذات اللاجئة السورية في؛

***اللامعيارية:**

حيث تنهار المعايير عند الذات اللاجئة السورية، تلك المعايير التي كانت توجه سلوكها وتنظمه، فتصبح تلك الذات رافضة للقيم والمعايير التي تسود المجتمع الجديد الذي انتقلت اليه وذلك راجع الى عدم ثقتها في ذلك المجتمع.

***العزلة الاجتماعية:**

تحصل هذه العزلة عندما تشعر الذات اللاجئة السورية بالوحدة والفراغ وتفتقد الامن والأمان بسبب البعد عن الأحباء والاقارب. وهذه العزلة تؤدي بالذات اللاجئة الى الرفض الاجتماعي والانغماس في عزلة عن المجتمع.

***سلب الحرية:**

يعد سلب حرية الذات اللاجئة السورية وسلب معرفتها نوعا من الاغتراب الذي تحدث عنه هيجل Higel [6] الامر الذي يؤدي الى اغتراب الخضوع حيث تكون الذات منفصلة عن توجيهها الخاص وخاضعة للتوجيه العام.

***التمرد والرفض:**

حيث تقوم الذات اللاجئة السورية بالتمرد على عادات وتقاليد المجتمع الجديد، ولا تلتزم بها لأنها تعيش ثورة داخلية تحسسها بالرغبة في التغيير. وهذا التمرد يكون على الذات نفسها او على المجتمع المستقبل.

[6] السيد علي شتا، نظرية الاغتراب، مؤسسة شباب الجامعةن الإسكندرية، 1993، ص 01

***التشيؤ:** [7]

أين تحس الذات اللاجئة أنها شيء فقد الإحساس بهويته وانتمائه ولا جذور له.

***اللاهدف:**

تشعر الذات اللاجئة بأنها لا تملك أهدافاً واضحة في هذه الحياة فتفقد كل طموح لها.

***العجز:**

وعدم شعور الذات اللاجئة بانها تستطيع التأثير في المواقف التي تواجهها ولا تستطيع اتخاذ القرارات وتقرير مصيرها.

فعندما تتخلى الذات اللاجئة عن حقها في تقرير مسلكها لشخص آخر تصبح سلطتها الذاتية مغتربة، وهذا ما تحدث عنه هوجو جروتيوس Hugo Grotius من خلال تغريب الأشياء أي كما يمكن نقل ملكيتها لشخص آخر يمكن نقل السلطة السيادية. [8]

كما تتجلى في اسقاط حق الذات اللاجئة في أي شيء مما يعني تجريدها من حريتها وهذا يحول دون استفادتها من حقها. [9]

***الاغتراب عن الدين:**

اغتراب الذات اللاجئة السورية عن دينها قصراً أو رغبة منها، من خلال عملية التنصير، وهنا يكون الاغتراب عن الدين اغتراباً عن جوهر الانسان الحقيقي. وأعتقد أن الاغتراب الديني هو أساس كل الاغترابات.

[7] أبو العينين، عطيات فتحي، علاقة الاتجاهات نحو المشكلات الاجتماعية المعاصرة بمظاهر الاغتراب النفسي لدى طلاب الجامعة في ضوء المستوى الاقتصادي والاجتماعي، مجلة علم النفس، العددان 40-41، 1997، ص160.
[8] ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة، كامل يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص 71
[9] المرجع نفسه، ص 72

***الاغتراب عن العمل:**

اغتراب الذات اللاجئة عن العمل وقد تحدث عن هذا الأمر ماركس Marx الذي يرى أن العامل لا يقوم بأعمال تعكس شخصيته أو اهتماماته، وأعماله خالية من العفوية والتوجيه الذاتي، بل هو عمل مفروض وهنا تنفصم الصلة بين العامل وعمله ليصبح عملاً قصرياً وقهرياً لا مفر منه. [10]

***التبعية:**

كما أن الاغتراب يصبح مرادفاً للتبعية عندما تتحكم فيه إرادة خارجية عنه. [11]

***الاغتراب عن الذات:**

اغتراب الذات اللاجئة عن ذاتها وهذا ما يسمى بالاغتراب عن النوع الإنساني او الاغتراب عن الطبيعة البشرية الإنسانية. فكل تلك الاغترابات تؤدي بالضرورة الى اغتراب الذات اللاجئة عن ذاتها. أي اغتراب الانا بمفهوم فرويد Freuid

تؤدي كل هذه المظاهر بالذات اللاجئة السورية الى الإحساس بالألم والحزن في بيئة غريبة عنها، قد تتحملها الذات لفترة او قد يتأزم الوضع ليصبح مرضا نفسيا ملازما لتلك الذات.

**4- من اغتراب الذات اللاجئة الى انتشار سماتها الثقافية:**

يقوم الفرد بنشر سماته الثقافية في المجتمع المستقبل. وهنا ينتقل الفرد وتنتقل معه سماته الثقافية. خاصة عندما تكون هجرة الى منطقة أخرى فهنا يحدث انتقال وحدات ثقافية كبيرة. ولكن الأهم ان يكون هناك تقبل لهذه السمات الثقافية من قبل المجتمع المستقبل.

[10] ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، نرجمة عادل مختار هواري، سعد عبد العزيز ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 48

[11] حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند ايريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995، ص46

وتحدث عملية الانتشار احتكاكا ثقافيا وعملية انتشار غير مقصودة لبعض السمات الثقافية والعادات والتقاليد.

وهنا وجب على الذات اللاجئة ان تتحد مع الزمن ومع الفكرة ليحدث اتحاد مع الذات نفسها من خلال العقل والطبيعة والتعادل بينهما. فيتطابق وجود الذات اللاجئة مع الزمن والفكرة، الامر الذي يمنع التناقض مع النفس ومع العالم، ويمنع التشتت والتمزق الذي يصيب الذات المغتربة.

وعلى الذات اللاجئة ان تنتقل من الحرية السلبية المرتبطة بالعجز والهروب والعيش في الوحدة الى الحرية الإيجابية التي تجعلها تتحد مع العالم الخارجي والذات الأخرى دون تنازل طبعا. وهذا يساعد على قهر الاغتراب

وقهر الاغتراب لن يتأتى الا باسترداد الذات اللاجئة السورية المغتربة للصفة التي فقدتها، وإعادة التكامل لشخصيتها التي سلبت منها أجزاء وتشتت. كما ان الوعي بالاغتراب يؤدي الى التغلب عليه مع وجود الامل والاستعداد للتغيير.

وفي هذه اللحظة عندما تعي الذات اللاجئة أهمية وجودها في المجتمع المستقبل تقوم بعملية الانتشار المقصود لسماتها الثقافية، فتحدث انتقالا فاعلا لعاداتها وتقاليدها من لباس وطعام وموسيقى وادب وكل ما يمكن نقله الى المجتمع المستقبل بطريقة منظمة هدفها ابعاد الاغتراب واحلال التكيف الثقافي بدله.

فتصبح الذات اللاجئة ناقلة للقيم والتراث المادي واللامادي بشكل أكثر دقة. وتصبح أيضا ذاتا فاعلة لا مستقبلة، حرة إيجابية غير متناقضة مع نفسها ومع غيرها، تتحكم في رغباتها وتحدد أهدافها بما يتماشى مع قوانين المجتمع المستقبل، الذي يتقبل اثراء ثقافته باحتكاكها مع سمات ثقافية أخرى يراها ممثلة أحسن تمثيل من قبل الذات اللاجئة السورية الهادفة.

**خاتمة:**

الاغتراب ظاهرة متعددة الابعاد تنتشر عندما تتوفر الظروف المناسبة لها، أسبابها مختلفة تؤدي الى سوء التكيف مع المجتمع. لكن حسن تسيير وتوجيه تلك الذات المغتربة يجعل منها ذاتا إيجابية ناقلة للقيم والسمات الثقافية وفاعلة في المجتمع بشكل لافت يحترمه الجميع ويقدره أصحاب المجتمع المستقبل.

**المراجع:**

1- أبو العينين، عطيات فتحي، علاقة الاتجاهات نحو المشكلات الاجتماعية المعاصرة بمظاهر الاغتراب النفسي لدى طلاب الجامعة في ضوء المستوى الاقتصادي والاجتماعي، مجلة علم النفس، العددان 40-41، 1997

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج5، 1997

3-حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند ايريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995

4-ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة، كامل يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980

5-السيد علي شتا، نظرية الاغتراب، مؤسسة شباب الجدامعةن الإسكندرية، 1993

6-عيسى الشماس، مدخل الى علم الانسان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004

7-مجدي احمد محمد عبد الله، الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بسمات الشخصية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، 2001

8-مرتضى الزبيدي، تاج العروسن دار الفكر، بيروت، مج2، 1994

9-ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، نرجمة عادل مختار هواري، سعد عبد العزيز ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999

10-يوسف عز الدين، قديم لا يموت جديد لا يعيش، دار الابداع، الحديث للنشر والتوزيع.